دراسة

عسكرة المياه في العقيدة الصهيونية

من التوراة إلى السياسة الخارجية للكيان المؤقت

المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 4 تموز/ يوليو 2023

دراسة

عسكرة المياه في العقيدة الصهيونية

من التوراة إلى السياسة الخارجية للكيان المؤقت

2023-7-4

الفهرس

المقدمة 1
إشكالية الدراسة وتساؤلاتها 1
الأسطورة المؤسسة: وعد الله لشعب الله 1
النيل في الخطط "الإسرائيلية" 3
تطويق الدول العربية 4
سد النهضة: تنمية اثيوبيا أم تركيع مصر؟ 6
التمويل الدولي والرضا الغربي واللوبي الصهيوني 8

الموقف "الإسرائيلي": الدوافع – الإجراءات 8

الموقف الأثيوبي 9
خلفية ميثولوجية 9
السياسة الأثيوبية: الدوافع – الإجراءات 10

مصر: تأجيل المحتوم أو الاستسلام للقدر 11
تأثير سد النهضة على مصر 11
الموقف المصري احتواء بطعم الاستسلام 11
الاستنتاج 13

المصادر والمراجع ..... أ

المقدمة

تحاول هذه الدراسة تحليل أهداف ومحددات السياسة "الإسرائيلية" في علاقاتها بدول حوض النيل مع التركيز بشكل خاص على العلاقات "الإسرائيلية" الإثيوبية وإلقاء الضوء على محركات وأهداف "إسرائيل" الأيديولوجية والتوراتية والسياسية والإستراتيجية وخاصة فيما يتعلق بأهمية ومحورية الصراع العربي الإسرائيلي في تحديد مسار هذه العلاقات وانعكاس ذلك على الأمن القومي المصري.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها

ظهرت دراسات عديدة لرصد السياسة الخارجية "الإسرائيلية" تجاه دول الطوق العربي على مدى العقود الماضية، وتنوَّعت تلك الدراسات بين التي تناولت علاقات "إسرائيل" بإفريقيا أو تحديدًا دول حوض النيل، وراح كل منها يركِّز على جانب أو أكثر من أوجه هذه العلاقات. تجتهد هذه الدراسة لبحث صحة فرضية عمل "إسرائيل" طبقًا لمبدأ "عسكرة المياه" واستهداف مصر من خلالها، وتحاول تحليل أسباب وضع "إسرائيل" لإثيوبيا في مقدمة اهتماماتها في سياق ما صار يعرف مؤخرًا "حروب المياه" ورصد ودراسة خطواتها لتنويع مجالات علاقاتها مع دول حوض النيل، وطريقة تعامل النظام المصري مع التحديات المفروضة.

ولأجل تغطية هذا الموضوع الهام والاستراتيجي، خصصت هذه الدراسة للإجابة على تساؤلات عديدة منها:

- متى بدأ اهتمام "إسرائيل" بأفريقيا؟
- ما هي وسائل وأدوات التحرك "الإسرائيلي" تجاه إفريقيا؟
- ما هي محددات السياسة "الإسرائيلية" تجاه دول حوض النيل عموماً وإثيوبيا بشكل خاص؟
- وما تأثيرات ذلك على الأمن القومي المصري؟
- كيف كانت استجابة النظام المصري للتحديات المفروضة؟

الأسطورة المؤسسة: وعد الله لشعب الله

احتلت المياه موقعاً هاماً في الفكر الاستراتيجي الصهيوني منذ بدء التفكير بإنشاء دولة "إسرائيل"، مستندة إلى ادعاءات دينية وتاريخية مؤسسة على نصوص توراتية على شاكلة: "كل موقع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته... كما كلمت موسى من البركة ولبنان.. هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات... وإلى البحر الكبير نحو المغيب يكون تُخُمُكُم ... فقطع مع إبراهيم ميثاقًا بأن يعطي لنسله هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات .."[1]، ومنه تطوّر خطاب الآباء المؤسسين للكيان المؤقت أن الحدود المثالية لدولة "إسرائيل" من النيل إلى الفرات، ثم بدعم من "الجمعية العلمية البريطانية" -التي أصدرت عام 1875 توصية بإسكان خمسة ملايين مهاجر يهودي في فلسطين- كان أول تحرك عملي بادر فيه مجموعة من خبراء فرنسيين وأمريكيين، ومن بينهم (موزس هيس - Moses Hess) أحد مؤسسي الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، بإيفاد الخبراء واللجان العلمية لدراسة الموارد المائية في

[1] التوراة المحرفة: الإصحاح الخامس عشر من الميثاق.

كل من العراق وفلسطين، وإمكانية الاستفادة من مياه نهر الأردن لتوليد الطاقة الكهربائية بسبب انخفاض البحر الميت عن البحر المتوسط[2].

إلا أن أهمية المياه كمورد طبيعي لم تبدأ في التبلور في الفكر الصهيوني إلا بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، حينها كان التصريح الأول من نوعه بهذا الصدد لـ (تيودور هرتزل - Theodor Herzl)، يقول: "إننا وضعنا في هذا المؤتمر أسس الدولة اليهودية بحدودها الشمالية التي تمتد إلى نهر الليطاني". لاحقًا عام 1903، حاولت الدوائر الصهيونية الاتصال بالحكومة البريطانية لإرسال البعثات الفنية -هذه المرة لإثيوبيا- لإجراء الدراسات حول إمكانية سحب جزء من مياه نهر النيل إلى سيناء، ومن ثم جر هذه المياه إلى النقب لتطويره وبناء المستعمرات اليهودية فيه[3].

وفي عام 1919، تعود قضية المياه إلى توصيات ومحاور المؤتمر السنوي الصهيوني العالمي الذي عقد هذه المرة بمدينة بازل بسويسرا، حيث صدر فيه ما نصه: "يجب تذكير عصبة الأمم أنه لا بد من إدخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن الحدود وتشمل نهر الليطاني وثلوج جبل الشيخ."، لاحقًا مارست الدوائر الصهيونية ضغوطاً كبيرة على المجتمعين في مؤتمر الصلح في باريس عام 1919، لجعل حدود فلسطين تضم منابع نهر الأردن ونهر الليطاني وسهل حوران في سوريا إلا أن هذه المطالب قوبلت بالرفض خصوصاً من الفرنسيين الذين وضعوا سوريا ولبنان تحت انتدابهم.

ولم يتوقف قادة الحركة الصهيونية أمثال (حاييم وايزمان - Chaim Weizmann) عن بذل كل ما بوسعهم لتوسيع الحدود الشمالية للاستحواذ على منابع المياه، كما ورد في رسالته بتاريخ 1920/10/30 إلى رئيس الوزراء البريطاني (لويد جورج - David Lloyd George)، حيث أشار إلى أن مياه نهر الأردن واليرموك لا تفي بحاجة الدولة اليهودية، وأنه يتطلع إلى نهر الليطاني لسد هذا العجز ليؤمن المياه لري الجليل[4].

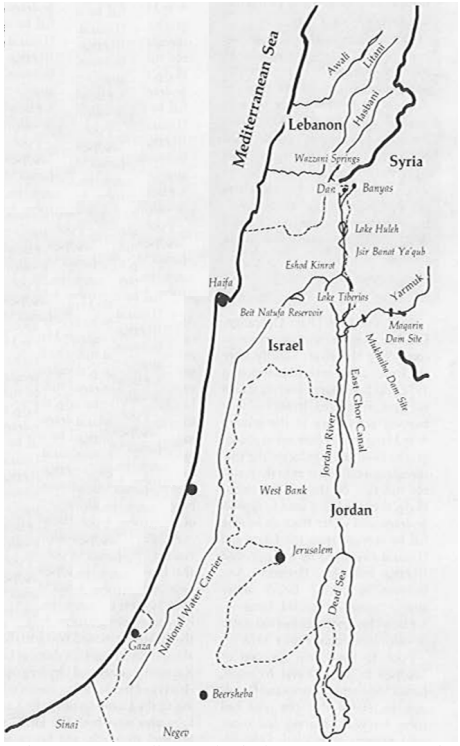

شكل 1 - مشروع قناة الناقل الوطني للمياه في "إسرائيل" ومخطط ربطه بأنهار عربية.

[2] رفعت سيد احمد. الصراع المائي بين العرب وإسرائيل. ١. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1993.
[3] رفعت سيد احمد. الصراع المائي بين العرب وإسرائيل. ١. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1993.
[4] وفا. المياه في الصراع العربي – الاسرائيلى. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.

ثم عملت الدوائر الصهيونية -وبناءا على اقتراح (هربرت صموئيل - Herbert Samuel) أول مندوب سامي يهودي بريطاني- على جعل الحدود الشمالية لفلسطين تتوغل داخل لبنان الحالي لتمتد حدود الكيان من الضفة الشمالية لنهر الليطاني حتى أقصى ينابيع نهر الأردن قرب راشيا، ومن ثم ابتدأ إرسال العديد من البعثات لإجراء عمليات مسح للمصادر المائية واقتراح المشاريع المائية لتشجيع الاستيطان اليهودي حولها، فوضعت المشروع تلو المشروع كان أولها مشروع روتنبرغ عام 1927، ثم مشروع أيونيدس عام 1938، ومشروع لاودرملك عام 1944، ومشروع هيز عام 1948م[5]. والعامل المشترك في جميع هذه المسوح والخطط لم ينظر إلى المياه بصفتها مانع طبيعي من تهديدات الشعوب المجاورة، ولكن بالدرجة الأولى كمورد معيشي للاكتفاء الذاتي، يقول (ديفيد بن غوريون - David Ben-Gurion): "علينا أن نتذكر بأنه لابد أن تكون مياه نهر الليطاني ضمن حدود الدولة اليهودية لضمان قدرتها على البقاء"[6].

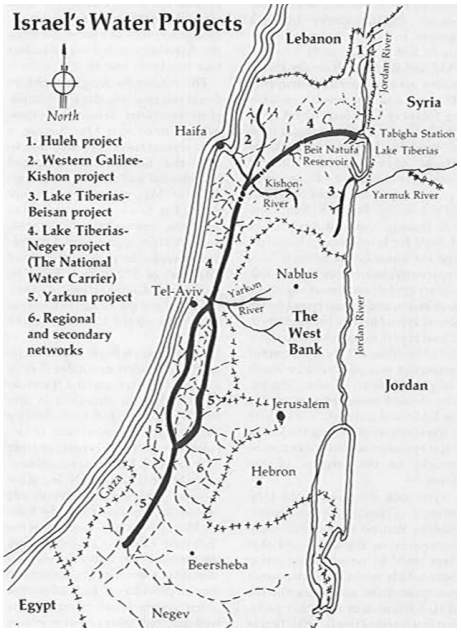

شكل 2 - مشاريع المياه داخل وخارج "إسرائيل".

النيل في الخطط "الإسرائيلية"

عقب حرب تشرين/أكتوبر ١٩٧٣ ظهرت لأول مرة -بشكل صريح- خطط الاستفادة من مياه النيل في الأوراق الرسمية "الإسرائيلية"، كان أولها عام ١٩٧٤ ما عرف بخطة (إلشيع كيلي - Elisha Kelly)، التي تأسست على مسلَّمة مفادها "أن كميات ضئيلة من المياه لا تزيد عن ١% من مياه النيل أي 800 مليون م^3 سنويًا من أصل 80 مليار م^3 متوسط التدفق السنوي بالمقياس المصري (نحو 0.5 % من إيراد النهر عند أسوان) قد لا تشكل عنصرًا مهمًا من الميزان المائي المصري لكنها يمكن أن تحل أزمة المياه في "الكيان الوليد" لو تم نقلها في اتجاه الشمال إلى قطاع غزة والنقب الإسرائيلي"[7]. لم يكن تعمير النقب ضرورة ملحة فقط كونه مانع بشري وحائط صد للمارد المصري الرابض -آنذاك- على الحدود الجنوبية، بل باعتبار النقب في العقيدة السياسية "الإسرائيلية" مرتكز اقتصادي حيوي في مستقبل الكيان، أو كما عبر عنه (بن غوريون) في مذكراته أنه مَنفَذ مباشر قصير للغاية يؤدي إلى القارتين الناميتين (آسيا وأفريقيا)[8].

"بعد توقيع معاهدة السلام [كامب ديفيد] بين مصر و "إسرائيل" عام 1979، ظهرت عدة مقالات في الصحافة "الإسرائيلية" تدعو لشراء مليار متر مكعب من مياه النيل وتوجيهها لصحراء النقب، لتأمين المياه لإسرائيل."[9]، وبعد تبني النظام المصري أدبيات وخطاب "السلام" استثمر "الإسرائيلي" اللحظة وتمت ترجمة خطة (إليشع كيلي) إلى سياسات خارجية بشكل رسمي في وثيقة نشرت تحت عنوان "مياه السلام" التي قوامها توسيع ترعة الإسماعيلية

[5] رفعت سيد احمد. الصراع المائي بين العرب وإسرائيل. ١. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1993.
[6] وفا. المياه في الصراع العربي – الاسرائيلى. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.
[7] Schmida, Leslie C. "Israel`s Drive for Water." The Link November 1984: 1 - 16.
[8] ديفيد بن جوريون. إسرائيل تاريخ شخصي. المجلد 3. تل أبيب: د.م. :مركز البحوث وامعلومات،د.ت، ٢٠٠٣.
[9] غادة محمد أحمد زيان. السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الأفريقي بعد أحداث الحداي عشر من سبتمبر ٢٠١١. رسالة ماجستير. القاهرة: كلية الإقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، 2014.

(لاحقًا "قناة السلام") التي تتغذى من روافد فرع دمياط في الدلتا إلى قناة سيناء المتفرعة منها من أجل تامين قدرة نقل المياه المطلوبة إلى صحراء النقب، وتتراوح هذه القدرة بين 100 مليون م^3 سنويًا في حال اقتصر التزويد على قطاع غزة، أو زيادتها إلى 500 مليون م^3 في حالة تزويد "مستهلكين آخرين"[10]، وقتها قوبل هذا المشروع بالرفض المصري الشعبي ثم الرسمي إلى أن عاد هذا المشروع في الظهور أكثر من مرة وكانت أولها عام 1978 فيما أطلق عليه مهندس الموارد المائية للكيان (إلشيع كالي) مشروع "الحل النموذجي لنقص المياه في إسرائيل"، ثم خلال مباحثات كامب ديفيد عام 1979 قدم خبير المياه "الإسرائيلي" (شاؤول أولوزوروف - Saul Arlosoroff) -النائب السابق لمدير هيئة المياه "الإسرائيلية"- مشروعًا آخر للسادات تحت اسم "مشروع يؤر" يهدف إلى جر مياه النيل إلى "إسرائيل" عبر شق ست قنوات تحت مياه قناة السويس[11]، تقوم بدفع المياه إلى نقطة سحب رئيسية في سيناء ويتم رفع المياه بالضخ إلى ارتفاع عشرات الأمتار لتدفع بقوة الجاذبية على طول ساحل سيناء، وفي هذا المرة ارتفعت التقديرات المطلوبة إلى نقل 1 مليار م^3 لري الصحراء النقب منها 150 مليار م^3 لقطاع غزة، مع مميزات جديدة في هذا الطرح لـ "إسرائيل" تتمثل في ضمان استمرارية جريان المياه وحل مشاكل التخزين[12].

وفي عام 1986 وبمناسبة انعقاد مؤتمر "أرماند هامر" للتعاون الاقتصادي في الشرق الأوسط في جامعة تل أبيب، أعاد (كيلي) صياغة مشروعه هذه المرة تحت عنوان "خطة مياه الشرق الأوسط في ظل السلام"، ثم مرة أخرى في منتصف عام 1989 وخلال انعقاد ندوة التعاون الاقتصادي لدول الشرق الأوسط في "سان لوزان" أعيد طرح مشروع (كيلي) في هذه المرة بصيغة طلب "إسرائيل" أن "تبيعها" مصر حصة قدرها 1% من إيراد النيل[13]. إلا أن موقف رفض بيع المياه دوليًا أو نقل أو تحويل أو بيع مياه النيل لـ "إسرائيل" ظل هو التوجه المصري الشعبي وظل النظام يرفض -ظاهريًّا- أن يكون هناك "تعاون" مائي مصري "إسرائيلي" ومن ثم الرفض النهائي لأية صيغة من صيغ "محاصصة" في مياه النيل، إلا أن الواقع والوقائع كان لها كلامٌ آخر خلاف الموقف المصري الرسمي، ففضلًا عن الملاحق السرية لمعاهدة كامب ديفيد، كان الخيار المصري للتعامل مع المسألة هو: التعتيم الشعبي والتعاون السرّي، قبال منهجية "إسرائيل" غير المباشرة لتحقيق أهدافها من خلال مواصلة التوسع وإحكام السيطرة على دول حوض النهر[14].

تطويق الدول العربية

عملت "إسرائيل" جادة بالتعاون مع دول الاستعمار القديم والحديث على الإحاطة بالوطن العربي وتطويقه وعزله عن إفريقيا، وتعمل فكرة تطويق الدول العربية طبقا لما يعرف بنظرية التخوم (PERIPHERAL DOCTORINE) التي وضع أسسها (ديفيد بن غوريون - David Ben-Gurion)[15] والتي تنص على ضرورة إقامة علاقات مع "إيران [الشاه] وتركيا وإثيوبيا"؛ من أجل ربط "إسرائيل" بالدول غير العربية في الشرق الأوسط[16]. إلى أن ظهرت أبعاد "عسكرة المياه" في هذه النظرية على لسان (غولدا مائير - Golda Meir) في أعقاب حرب 1967 في تصريح لها تقول: "إن التحالف مع إثيوبيا وتركيا، يعني أكبر نهرين في المنطقة؛ إن النيل والفرات سيكونان في

---

[10] عبدالرحمن سليمان الأحمد. "أزمة المياه في الصراع العربي الإسرائيلي." دراسات دبلوماسية فبراير, ١٩٩٩: ١٥٥.

[11] عز الدين شكري. "التعاون الاسرائيلى الاثيوبى والأمن القومي المصري." مجلة السياسة الدولية يوليو, ١٩٩٠: ١٧٥.

[12] Arlosoroff, Saul, Shuval, H. and Dweik, H. "Water Demand Management — A Strategy to Deal with Water Scarcity: Israel as a Case Study." Water Resources in the Middle East. 2007.

[13] وفا. المياه في الصراع العربي – الاسرائيلى. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.

[14] صفا شاكر إبراهيم محمد. الصراع المائي بين مصر ودول حوض النيل 1990-2010. ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديموقراطي العربي، ٢٠١٠.

[15] Peters, Joel. Israel and Africa, The problematic friend ship. London: British Academic press, 1992. See also: Barzohor, Michael, Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz. "Ben Gurion and the policy of the periphery ." Israel in the Middle East 1984: pp. 164-171.

[16] ألوف بن. "العلاقات مع تركيا هامة ولكنها لن تكون بديلا للحوار مع العرب." هآرتس (1999): 9.

قبضتنا". وإن كان من الطبيعي في وقت الحرب أن يسقط قناع الدبلوماسية وأن تظهر النوايا الحقيقية من وراء السيطرة على مصبات الأنهار، إلا أنه بعد معاهدة "كامب ديفيد" لم تعد السياسة "الإسرائيلية" مهتمة بالحفاظ على غلاف "دبلوماسية التنمية" في تحركاتها في إفريقيا، ففي ١٩٨١ أكد (أرئيل شارون - Ariel Sharon) في خطابه أمام كلية الدفاع الوطني إبان عمله وزيرًا للدفاع في حكومة (مناحم بيجن - Menachem Begin) على أهمية مواجهة "التهديد العربي" من خلال تطوير "علاقة أمنية" مع دول إفريقيا[17]. لتبدأ حينها حقبة "عسكرة المياه" الوسيلة الأكثر تفضيلًا للقوى الاستعمارية لتركيع وتفتيت الدول العربية والإسلامية، ولم يكن غائبًا وقتها الهدف الحقيقي للتغلغل "الإسرائيلي" في إفريقيا عن رجال الصف الأول في النظام المصري ومفكرين مهمين من طراز (محمد حسنين هيكل) حيث قال: "دول ومرسومات بابوية وأباطرة في الغرب يتصوروا أن إنهاء الحروب الصليبية وإسقاط دور مصر سيكون من خلال تجويعها وقطع المياه عنها."[18].

في تقرير لجنة الشئون العربية بمجلس الشورى المصري الصادر عام 1991 بعنوان "أزمة المياه في المنطقة العربية" كان أول إعلان رسمي من المؤسسات الرسمية المصرية عن وجود خطط "إسرائيلية" في أثيوبيا تبدأ بإنشاء سدود على النيل الأزرق ذكر التقرير في توصيته النهائية أنها "سدود تشكل تهديدًا مباشرًا لإيراد مصر من نهر النيل"، لتصل اللجنة إلى استنتاج نهائي أن الهدف النهائي من هذه الإنشاءات هو أن "إسرائيل تحاول ضرب دفاعات مصر الجنوبية وفرض الحصار على الموارد الإستراتيجية لنهر النيل"، لم يقتصر الأمر على النشاط في إثيوبيا بل أضاف التقرير أنه "بدأ واضحًا إن إسرائيل اتجهت إلى توسيع دائرة حركتها في حوض النيل، حيث امتد نشاطها إلى أوغندا وجنوب السودان."[19].

شكل 3 - دول حوض النيل

لحقه تصريح السفير السابق بوزارة الخارجية المصرية وخبير المياه (د. حمدي الطاهري) في عام ١٩٩٢م: "أن إسرائيل تخطط لإقامة ٣٣ سدًّا على الأنهار التي تغذي نهر النيل بهدف تخفيض حصة مصر من المياه بمقدار مليار متر مكعب[20]، مؤكدًّا أن ما يجري هدفه سياسي وليس مائي، كون إثيوبيا لديها أكثر من ١٠٠ نهر فيما أن خطط السدود يتم تنفيذها حصرًا على الأنهار الثلاثة التي تغذي نهر النيل (عطبرة - النيل الأزرق - السوباط) دون الـ ٩٧ نهرًا الأخرى، ما يهدف بالنهاية للضغط على النظام المصري لمنح ١٪ من مياه النيل إلى الكيان الصهيوني في النقب[21]. وهو ما تم تأكيده لاحقًا في ١٩٩٧ -بشكل شبه رسمي- في المؤتمر الذي عقدته جامعة (تل أبيب) عن المياه في الشرق الأوسط، إذ صرّح (حگاي إرليخ - Haggai Erlich) أستاذ تاريخ الشرق الأوسط وأفريقيا لجريدة "هآرتس" تصريحات كاشفة عن الرؤية الأكاديمية -ومن ثم السياسية- لـ "إسرائيل" تجاه مياه النيل. لما قال نصًّا: "إسرائيل في الخمسينات أبدت اهتمامًا ضخمًا بالتعاون مع إثيوبيا بغرض تهديد مصر."

---

[17] Medzini, M. Israel's foreign relations 1981-1982. selected Documents - volume seven. Jerusalem: Ministry for foreign Affairs, 1988.

[18] محمد حسنين هيكل. "مصر أين؟ ومصر إلى أين؟" مع لميس الحديدي. الصراع العربي الإسرائيلي على سد النهضة. CBC Egypt. Cairo. ٠٣ ,٠٤ ,٢٠١٥.

[19] صفا شاكر إبراهيم محمد. الصراع المائي بين مصر ودول حوض النيل 1990-2010. ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديموقراطي العربي، ٢٠١٠.

[20] جريدة الأخبار المصرية (عدد ١٠/٠٣/١٩٩٢).

[21] صالح زهر الدين. مشروع إسرائيل الكبرى بين الديموغرافيا والنفط والمياه. ورقة بحثية. بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٦.

في عام 1996 أعلن (د. محمد المهدي راضي) –وزير الري المصري الأسبق– عن وجود اتفاق بين "إسرائيل" وأثيوبيا على إقامة سد لتوليد الكهرباء، فضلاً عن موافقة البرلمان الأثيوبي على مشروع بإنشاء خزانين على النيل الأزرق، ما استدعى عمل حالة من "الغطاء السياسي" لهذه التحركات بدأت بإعلان "إسرائيل" رسميًّا "حالة الجفاف" في 15 أبريل 1999 عندما طالب وزير خارجيتها آنذاك (آرييل شارون) الدول الأوربية مساعدتها لمواجهة الأزمة المائية التي تعاني منها "إسرائيل"[22]، لمحاولة البحث عن حلول وموارد تضاهي معدل الاستهلاك المتوقع وصوله -بالموارد الحالية- حتى ٢٠٢٥م إلى 264 م^3 للفرد / السنة، أي حالة الفقر مائي الشديد بدون زيادة نسبة السكان الناتجة عن الهجرة.

لا حقًا في ٢٠٠٢ كشف المحلل السياسي (مايكل كلير - Michel Clair) في كتابه "الحرب على الموارد .. الجغرافيا الجديد للنزاعات العالمية" أن "إسرائيل" لعبت دورًا كبيرًا مع دول حوض النيل لنقض المعاهدات الدولية التي تنظم توزيع المياه في حوض النيل، واعتبر أن هذا الأمر يأتي في إطار إستراتيجية الصهيونية مخطط أمريكي سيء لانتزاع النفوذ في تلك الدول من أوروبا عمومًا وفرنسا على وجه الخصوص، ولذلك فأن الإدارة الأمريكية توفر لـ "إسرائيل" كل سبل التأثير على دول مثل "أثيوبيا وكينيا ورواندا وأوغندا والكونغو". وكشف (كلير) في كتابه عن اجتماع عُقد في "تل أبيب" بين أعضاء بالكنيست الصهيوني ووزراء أثيوبيين، تناول بحث إقامة مشاريع مشتركة عند منابع نهر النيل، وإن الأجندة الصهيونية تقوم على إقناع الوزراء الأثيوبيين باستكمال المشاريع المشتركة التي كانت قد توقف العمل بها، وأشار إلى أن هذه المشروعات تتضمن إقامة أربعة سدود على النيل لحجز المياه، وتوليد الكهرباء، ضبط حركة المياه باتجاه السودان ومصر[23].

بالفعل أنشأت "إسرائيل" ثلاثة سدود مائية في أثيوبيا كمرحلة أولى من برنامج يستهدف بناء 26 سداً على النيل الأزرق، المشاريع الي من شأنها أن تحرم مصر على الفور من حوالي 5 مليار م^3 من المياه، ثم في مرحلة لاحقة شرعت في بناء سد على منشأ أحد فروع النيل الأزرق (الذي يمد النيل بحوالي 75% من المياه) ما من شأنه أن يحجز نصف مليار م^3 أخرى من المياه، أعلن حينئذٍ أن هذه الصفقة جاءت مقابل قيام أثيوبيا بتسهيلات لـ "إسرائيل" في جزيرة "دهلك وفاتيما" لإقامة قواعد عسكرية فيها، تحولت "إسرائيل" بعدها إلى أرتيريا لقربها من باب المندب، بالتوازي مع بدء أثيوبيا العمل إعلاميًّا ودبلوماسيًّا على رفع دعاوى إعادة توزيع مياه نهر النيل وفق مبدأ "عدالة التوزيع"، ورفض جميع الاتفاقات "الاستعمارية" ورفض دعوات الانضمام إلى "مجموعة الأندوجو" الخاصة بالاستفادة من مياه نهر النيل[24].

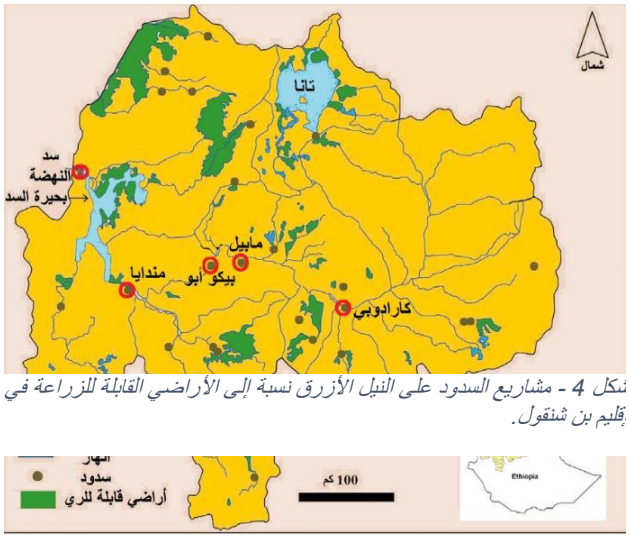

شكل 4 - مشاريع السدود على النيل الأزرق نسبة إلى الأراضي القابلة للزراعة في إقليم بن شنقول.

سد النهضة: تنمية اثيوبيا أم تركيع مصر؟

في مقابلة تلفزيونية وفي معرض تعليقه على التحركات الإسرائيلية في اثيوبيا يقول (د. مصطفى الفقي) -سكرتير رئيس الجمهورية المصرية الأسبق للمعلومات-

[22] صفا شاكر إبراهيم محمد. الصراع المائي بين مصر ودول حوض النيل 1990-2010. ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديموقراطي العربي، ٢٠١٠.
[23] مايكل كلير. الحرب على الموارد .. الجغرافيا الجديد للنزاعات العالمية. المحرر عدنان حسن. بيروت: دار الكتاب العربي، 2002.
[24] موقع وكالة فلسطين للأنباء (وفا). المياه في الصراع العربي – الاسرائيلي. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.

ما نصه: "لإسرائيل تأثير بملف سد النهضة لأنها تحلم أن تكون دولة مصب لنهر النيل."[25]. وقد لا يكون كافيا لتفسير التدخل الاسرائيلي في منابع النيل اعتبار أن الماء العذب هو "النفط القادم" كما في الاطروحات المتداولة حول "حروب المياه"، والتي نُشرت مؤخّرًا في "تقييم مخاطر" أعدته وكالة المخابرات المركزية الأميركية لعشرة مواقع محتملة لهذه الحروب كان معظمها وأبرزها في الشرق الأوسط[26] وبالتحديد في منطقة حوض النيل[27].

كانت الدراسات حول سد النهضة (الألفية) قد بدأت منذ عام 1946 بواسطة (مكتب الولايات المتحدة للمسح والاستصلاح)، الذي حدد في دراسة موسعة 26 موقعا لإنشاء سدود في حوض النيل[28]، كان أهمها أربعة سدود على النيل الأزرق الرئيسي. أهمها -حسب الوثيقة- سد "يقلل من تحكم مصر في مياه النهر"[29]، وقتها حمل هذا السد اسم سد (بوردر- Border) وهو ما يعرف الآن باسم (سد النهضة - Renaissance Dam). آنذاك اقتصر الدور "الإسرائيلي" على التخطيط والتأثير بشكل غير مباشر من خلال مؤسسات الدراسات والشركات الأميركية الواقعة تحت نفوذ اللوبي الصهيوني، إلا أنه ومع بداية التسعينات انتقلت "إسرائيل" إلى مرحلة العمل المباشر بوصول خبراء "إسرائيليين" سافروا إلى كل من أوغندا وإثيوبيا لإجراء أبحاث تستهدف "دراسة النيل"، وقتها وصل عددهم إلى ٤٠٠ خبير على الأراضي الإثيوبية وحدها[30]؛ وذلك لإجراء الأبحاث لإقامة مشروعات الري والسدود على مجرى النيل[31].

شكل 5- موقع منطقة (بحر الجبل) في دولة جنوب السودان.

لم تتوقف شهية "إسرائيل" عند المنابع في إثيوبيا بل توسعت في السيطرة الجيوسياسية على باقي دول حوض النيل حتى تمكنت - من خلال دعمها انفصال جنوب السودان[32]- من أن توقف للأبد الحفر بقناة جونجلي التي بدأ العمل عليها بالاتفاق بين السودان ومصر عقب حرب تشرين ١٩٧٣م، وكان يخطط أن تنقل فائض المياه في بحيرة (بحر الجبل) إلى النيل الأبيض فرع السوباط للاستفادة منه في مشروعات زراعية بدلًا من فقده بسبب البخر. وهو ما تم تأكيده بشكل رسمي عندما كشفت الصحافة الفرنسية في تحقيق حول ظروف سقوط طائرة تابعة للخطوط الإثيوبية في البحر قرب ساحل جُزُر القُمُر في عام ١٩٩٦ أن إسقاطها كان متعمّدًا في سياق التنافس الأميركي - الفرنسي على النفوذ في منطقة البحيرات تم استهداف مجموعة من أعضاء (الموساد) الذين كانوا مكلفين بمهام رسمية من الحكومة "الاسرائيلية" طبقا للوثائق التي تم اكتشافها بحوزتهم عن: "خطط اسرائيلية في منطقة البحيرات"[33].

---

[25] مصطفى الفقي. لإسرائيل تأثير بملف سد النهضة لأنها تحلم أن تكون دولة مصب لنهر النيل. مع شريف عامر. @YahdothFiMasr. M.B.C. Masr، Cairo. 14 07, 2021.

[26] بولوك ج و درويش ع. حروب المياه.. الصراعات القادمة في الشرق الأوسط. المترجمون هاشم أحمد محمد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

[27] Farinosi, F., et al. "A spatially explicit, data driven indicator of hydro-polit." An innovative approach to the assessment of hydro-political risk indicator of hydro-political issues. Glob. Environ. Chang. No. 52, 2018. 286–313.

[28] Waterbury, J. The Nile Basin: National Determinants of Collective Action. New Haven: Yale University Press, 2002. see also, Y.S., Awulachew ،S.B. ، McCartney ،M. ،Ibrahim ،Y. ،and Shiferaw،. "Evaluation of water availability and allocation in the Blue Nile Basin." CGIAR Challenge Program on Water and Food. Ethiopia: 2nd International Forum on Water and Food, 2008. 6-10.

[29] ايهاب سامح سيد رضوان، محمد رجب زكى، شريف محمد السيد، علاء شعبان احمد، احمد سعد نصر. أزمة سد النهضة وتداعيتها على مصر (سياسياً- إقتصادياً- إجتماعياً- إحصائياً وجيولوجياً). ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٨.

[30] هيثم الكيلاني. "المياه العربية والصراع الإقليمي." دراسة مستقبلية، سلسلة كراسات استراتيجية سبتمبر، ١٩٩٣: ١٣ & ٣٥٤.

[31] أشرف محمد عبد الحميد كشك. السياسة المائية المصرية تجاه دول حوض النيل في التسعينات. رسالة ماجيستير. القاهرة: (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة)، 2005.

[32] صالح زهر الدين. مشروع إسرائيل الكبرى بين الديموغرافيا والنفط والمياه. ورقة بحثية. بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٦.

[33] كريستيان توردیني. "النزاع الإقليمي وسط أفريقيا والشراكة الأميركية الإسرائيلية." شؤون الشرق الأوسط ٦٠ (١٩٩٧): ٢١ – ٢٢.

التمويل الدولي والرضا الغربي واللوبي الصهيوني

حسب أوراق بحثية ظهر جليًّا تبني البنك الدولي تمويل مشروعات السدود في إثيوبيا بفضل ترويج "اللوبي الصهيوني" AIPACK في واشنطن للرؤية الإثيوبية في الكونجرس الأميركي[34]، مضافًا إلى التحرك "الإسرائيلي" الدولي لإقناع كيانات مالية ضخمة بالمساهمة بمبلغ وصل إلى ٤,٨ مليار دولار[35] لإنشاء سد النهضة، وهي الميزانية التي لم تكن حكومة اثيوبيا أن توفرها بدون تدخل "إسرائيل"، التي برَّرت هذه المساعدات أمام المانحين بأنها تأتي تحت مسمى "الدول ذات الأولوية في تلقي المساعدات التكنولوجية والاقتصادية"[36]. وعلى هذا الأساس وجد "البنك الدولي" الغطاء السياسي اللازم لمنح تمويله السخي لبناء مشاريع مائية كبرى دون أن يشترط حصول أثيوبيا على موافقة باقي الدول المشاركة في النهر كما هو معمولة به وفق العرف السائد[37].

الموقف "الإسرائيلي": الدوافع – الإجراءات

قبل ما يقارب المئة عام وفي إحدى مقابلاته مع المندوب السامي البريطاني مصر (اللورد كرومر - Earl Evelyn Baring Cromer) قال (هيرتزل) أثناء تقديمه لفكرة مشروع عن توصيل مياه النيل لسيناء وتوطين اليهود فيها: "نحن نطلب فقط من النيل مياه الشتاء الزائدة التي تجري عادة إلى البحر ولا يستفاد منها."[38]. وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني الرابع عام 1903 في "لندن" قدم (جوزيف شمبرلن - Joseph Chamberlain) وزير المستعمرات البريطاني مشروع تهويد أوغندا وأيده (هيرتزل) بقوله: "يجب أن تكون قاعدتنا فلسطين أو بالقرب منها، وسنستعمر أوغندا فيما بعد". ثم في مكان آخر كتب (هيرتزل) إلى أحد أثرياء اليهود (روتشيرلد - Nathan Mayer Rothschild) بالقول: " يجب أن تبدأ الدولة اليهودية بإنشاء محطات متفرقة فقد تكون المحطة الأولى لمستعمراتنا والتي ستكون نواة لوطننا في شرق إفريقيا"[39]. وكان (هيرتزل) في عام 1902 أي بعد خمس سنوات من المؤتمر الصهيوني الأول قد أصدر كتابه الموسم "Altenenland"، الذي يشجع فيه ويدعو الحركة الصهيونية لتوجيه أنظارها لإفريقيا باعتبارها أحد الأماكن التي يمكن وفق وجهة نظره إقامة فيها ما يسمى "بوطن قومي لليهود"، إذ يقول في ذلك الكتاب: "مرة واحدة في حياتي أشهد تحرير اليهود باعتبارهم شعبي، أنا ارغب كذلك للمساعدة في استرداد وتحرير اليهود الأفارقة"[40].

أما بعد تأسيس الكيان يقول (شيمون بيريز - Shimon Peres) في كتابه " الشرق الأوسط الجديد" والذي صدر عام 1993: "هناك مثل يهودي يقول: إن كل المعجزات التي أسبغها الله على شعب إسرائيل كانت تتعلق بالمياه، المياه نادرة في منطقتنا الحارة هذه من العالم، وتشكل المياه جزءا أساسيا في الشعائر اليهودية والمسيحية والإسلامية، مثل غسل اليدين عند اليهود، والتعميد عند المسيحيين، والوضوء عند المسلمين، لقد كانت المياه ولا تزال عاملا رئيسيا في السياسة المعاصرة، كما أن العلاقات بين دول المنطقة كانت وستظل تشكل عموما بالفعل السياسة المائية، إن الانتهاك الخطير للحقوق المائية ينظر إليه كمبرر لشن الحرب."[41]

---

[34] سمير حسني. "القرن الأفريقي: أهم القضايا المثارة." مجلة المستقبل العربي، العدد ٢١٨ (١٩٩٧).

[35] عباس شراقي. "بين الجيولوجيا والسياسة: رؤية فنية لسد الألفية الأثيوبي." مجلّة السياسة الدولية ١٨٥ (٢٠١١): ١٤٧.

[36] عارف عبدالقادر عبده سعيد. التنافس الدولي في منطقة القرن الإفريقي منذ نهاية الحرب الباردة. رسالة دكتوراه. القاهرة: (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية, جامعة القاهرة)، 2007.

[37] وفا. المياه في الصراع العربي – الاسرائيلى. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.

[38] محمد سالمان طايع. "محدودية الموارد المائية والصراع الدولي: دراسة حالة لحوض نهر النيل." مجلة النهضة، (القاهرة) ٠٤, ٢٠٠٦: 59.

[39] حلمي عبد الكريم الزعبي. مخاطر التغلغل الصهيوني في إفريقيا. الكويت: كاظمة للنشر والتوزيع: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.

[40] بواسطة: Meir, Golda. My life. New York: Dell,Publishing Co, 1975.

[41] محمد سالمان طايع. "محدودية الموارد المائية والصراع الدولي: دراسة حالة لحوض نهر النيل." مجلة النهضة، (القاهرة) ٠٤, ٢٠٠٦: 89.

على المستوى العملي واستعدادًا لفرضية الحرب التي تكلم عنها (بيريز) نشر موقع (دبكا) "الإسرائيلي" في 7 يوليو 2019 خبرًا مفاده أن "إسرائيل" ببناء منظومة دفاع جوي حول سد النهضة الإثيوبي منذ مايو 2019 وانتهت بالفعل بعد شهرين ونصف[42]، لا تحمي هذه المنظومة فقط سد النهضة من أي مخاطر بل وتمثل ظهير عسكري كذلك للعديد من الشركات الإسرائيلية التي تعمل في إثيوبيا وأهمها[43]:

- "الشركة الإسرائيلية المائية": والتي تقوم بمشروعات وأعمال ري في أثيوبيا لحساب البنك الدولي، ويقع على عائق هذه الشركة تنفيذ المشاريع المائية في أثيوبيا، إضافة إلى أعمال إنشائية في إقليم "أوجادين" المتنازع عليه مع الصومال.
- شركة "الدا" التجارية: وهي متخصصة في بيع الآلات الزراعية ومعدات الري والبذور وتربية الدواجن والمبيدات ومستحضرات الطب البيطري.
- شركة "آسيا للمواد الكيمائية والصيدلانية": وتقوم بصنيع الأدوية والمواد الزراعية، ولها مصنع للمواد الطبية في أثيوبيا.
- شركة "سوليل بونيه" للبناء والأشغال العامة.
- شركة "ميكرون" وتقوم بتطوير مصادر المياه وساهمت في بناء خزانات على بحيرة "تانا".
- ويلاحظ أن القاسم المشترك بين أغلبية تلك الشركات أنها تعمل في مجال الثروة الحيوانية والزراعة والري، وذلك كله دليل على آخر على الهدف الاستراتيجي طويل المدى للكيان "الإسرائيلي بالتوغل الاقتصادي في إثيوبيا.

الموقف الأثيوبي

خلفية ميثولوجية

يتصف المزاج الميثولوجي "الإسرائيلي" دائما بمحاولة ربط وجوده بالأساطير والحكايات التلمودية، في حالتنا هذه تجلى هذا المزاج في ترويج أن العلاقات (الأثيوبية – "الإسرائيلية") تعود -كما تقول الأساطير الإفريقية- إلى عهد النبي سليمان 7، وحسب تلك الأساطير فإن للنبي سليمان ابنا من الملكة سبأ التي يسميها الأحباش "ماكدا" وهو جد الأحباش[44] كما أنه هو مؤسس الإمبراطورية الحبشية، واسمه (منيليك الأول - Menelik I) هو ابن ملكة سبأ والملك سليمان الذي هاجر من القدس إلى الهضبة الحبشية ثم انتقل من يهوديته إلى المسيحية إلا أنه احتفظ بالكثير من الأيقونات والتمائم الثمينة، ولعل أهمها وعلى رأسها جميعاً التابوت الذي يعود إلى سيدنا موسى 7[45]، وامتدادًا للأسطورة يعتقد شعب الأمحرة أن الدم اليهودي يسري في عروقهم، حتى أن آخر ملوك الحبشة (هايله سِلاسي -

---

[42] DEPKA. 07 07 2019. 2023 05 10 .
https://www.debka.co.il/%d7%9e%d7%aa%d7%99%d7%97%d7%95%d7%aa-%d7%91%d7%99%d7%9f-%d7%99%d7%a9%d7%a8%d7%90%d7%9c-%d7%95%d7%9e%d7%a6%d7%a8%d7%99%d7%9d-%d7%9c%d7%90%d7%97%d7%a8-%d7%a9%d7%99%d7%a9%d7%a8%d7%90%d7%9c-%d7%a1%d7%99/

[43] أسامة عبدالرحمن الأمين. "التغلغل الإسرائيلى فى دول حوض النيل الشرقى." مؤتمر دول حوض النيل الشرقى. القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة، 2012. 192.

[44] حسن العاصي. "أبعاد الاختراق الإسرائيلي للقارة السوداء." مجلة باحث للدراسات ٠١ ,٠٢ ٢٠٠١.

[45] رفعت سيد احمد. الصراع المائي بين العرب وإسرائيل. ١. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1993. & انظر: مقال بعنوان: "أسرار زيارة سيلفان شالوم إلى أثيوبيا." صحيفة الخليج الإماراتية (٢٠٠٩).

Haile Selassie) كان لقبه الرسمي "أسد يهوذا" الذي تربط الأسطورة به سلالة "يهود الفلاشا مورا"، و تشير الأساطير الحبشية إلى أن الوصايا العشر مخبأة في جبال الحبشة وهذا ما أكده الكاتب البريطاني (غيرهام غرين - Graham Greene)، إلى احتمال وجودها في أثيوبيا، وعليه تخرج جميع كنائس الحبشة التابوت المزيف ويطاف به حول المدن الرئيسية وهي طقوس تمارس حتى اليوم[46].

السياسة الأثيوبية: الدوافع – الإجراءات

كانت اثيوبيا هي الدولة الوحيدة التي امتلكت في السبعينات تحالفًا مع طرفي النقيض: الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مع "اسرائيل"، التي لجأ إليها (منغستو هيلا مريام - Mengistu Haile Mariam)[47] إلى "إسرائيل" من أجل مساعدته في المجال الأمني والتسليح[48] وطلب دعمها في مواجهة الصومال، حتى لا يتحول البحر الأحمر -بحد تعبيره- إلى "بحيرة عربية"[49]. وعندما أيد النظام المصري الصومال في نزاعه مع اثيوبيا ثم دعمت مصر الثوار الإرتريين المنادين بالانفصال فإن (منغستو) أعلن عن عزم أثيوبيا بناء سد كبير على النيل الأزرق كإجراء عقابي مضاد[50].

بالتزامن مع قرار مصر اللجوء للاتحاد السوفييتي لبناء السد العالي في مصر (1960-1970) وفي أعقاب انهيار مبدأ (أيزنهاور) في الأزمة السورية 1957 كلفت الإدارة الأميركية (مكتب الاستصلاح الأمريكي - US Bureau of Reclamation) التابع لوزارة الخارجية الأمريكية بالمشاركة في مشروع مشترك بعنوان "البرنامج التعاوني للولايات المتحدة الأمريكية وإثيوبيا لدراسة حوض النيل الأزرق"، واستمرت تلك الدراسة المكثفة للمشروع لمدة خمس سنوات (1958-1964).[51] لتخرج توصيات هذه الدراسات بنتيجة مفادها أن سعة خزان السد التصميمية يجب أن تتراوح بين 11.1 ~ 24.3 مليارم^3. إلا أن تصريحات المسئولين الإثيوبيين الأخيرة ذكرت أرقاما أخري حول سعة الخزان، وصلت إلى 62 ثم 67 مليارم^3 طبقًا لتصريحات وزير الري الإثيوبي ثم لاحقًا رئيس الوزراء الإثيوبي[52] الذي قال: "إن ارتفاع السد سوف يصل إلى 145 مترا مع سد سرج يبلغ عدة كيلومترات لتكبير حجم بحيرة السد" خلافًا للتصميم السابق، ما حدا خبراء مثل (د. محمد حافظ) -أستاذ تصميم السدود- أن يصرّح أن هذا التصميم "العدائي" لسد السرج يتجاوز هدف تكوين ضغط مياه لتوليد الكهرباء إلى هدف آخر تماما وهو تخزين وحجز كميات هائلة من المياه، لا يحتاجها بلد يتجاوز معدل الأمطار فيه ١١٠٠ مليار م٣ / العام[53]. إلا أن ذلك لم يمنع وزير الخارجية الإثيوبي (دمكه مكونن - Demeke Mekonnen) من التصريح في 17 مارس 2021: "إنه لا يمكن لأحد أن يحرم إثيوبيا من نصيبها البالغ 86% في نهر النيل." جاء ذلك خلال الندوة التي أقيمت بمناسبة الذكرى العاشرة لبناء سد النهضة الإثيوبي، وحضرها كبار رجال الدولة وعدد من المسؤولين، بحسب وكالة الأنباء الإثيوبية.

---

[46] جاسم يونس الحريري. السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا. عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2004.

[47] رئيس جمهورية إثيوبيا الشعبية الديمقراطية من 1987 حتى 1991.

[48] Decalo, Samuel. Israel and Africa, Forty Years, 1956-1996. Gainesville: Florida Academic Press, 1998.

[49] عبد الباقي عبد الكبير. "العلاقات الإثيوبية – الإسرائيلية،" مجلة دراسات استراتيجية نوفمبر, ١٩٩٦: ٦٧ – ٦٨. انظر أيضًا: هيثم الكيلاني. "المياه العربية والصراع الإقليمي." دراسة مستقبلية، سلسلة كراسات استراتيجية سبتمبر, ١٩٩٣: ١٣.

[50] هيثم الكيلاني. "المياه العربية والصراع الإقليمي." دراسة مستقبلية، سلسلة كراسات استراتيجية سبتمبر, ١٩٩٣: ٣٥٤.

[51] ETHIOPIA - UNITED STATES COOPERATIVE PROGRAM FOR THE STUDY OF WATER. "1961 ANNUAL REPORT OF THE RECLAMATION ON THE BLUE NILE RIVER BASIN INVESTIGATIONS." 31 09 1961. usaid.gov. 12 05 2023. <http://pdf.usaid.gov/pdf_docs/PDABH330.pdf>.

[52] Berhane ،D. Quick facts on the Grand Millennium dam | Ethiopia. ADIS APAPA, 11 04 2011. WEBSITE.

[53] البحيرى زكى بدر. ومصر ومشكلة سد النهضه ودول حوض النيل. القاهرة: دار الثقافه العربيه ووزارة الثقافه، ٢٠١٣.

وبالرغم من أنه لا يصل مصر والسودان إلا (١٠٠ مليار م٣ / العام)[54] أي حوالي ١٠٪ فقط من إجمالي حجم الأمطار على إثيوبيا (١١٠٠ مليار م٣ / العام)، إلا أنه تحت ضغط الأزمات الداخلية العرقية التي تجلت مؤخرا في الحرب الأهلية بين أقليات الأمحرة والتجراي، تستسهل الحكومة الأثيوبية الاستثمار الإعلامي في صناعة عدو خارجي لتعزيز وجهة النظر الشعبوية الشائعة في إثيوبيا التي تضع في كفة واحدة مصر مع الإمبرياليات البريطانية ثم الأميركية في حرب تحرر وطني ضد "المستعمر" .. وأن "الأطماع" المصرية هي أكبر عائق أمام تطور ورخاء البلاد.

مصر: تأجيل المحتوم أو الاستسلام للقدر

تأثير سد النهضة على مصر

لمحاولة استجلاء العواقب الكارثية لسدّ (النهضة) وحده دونًا عن بقيّة المشروعات المائية "الإسرائيلية" في إثيوبيا، نُشِرت دراسة لـ (د. جمال صيام[55]) بعنوان "الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المُحتمَلة لسدّ النهضة الإثيوبي وانعكاساتها على مستقبل الزراعة المصرية"، من بين ما جاء فيها إن سيناريوهات عدّة ومن بينها (وأقربها للتحقق) هو ما تُصرّ عليه إثيوبيا من أنها ترغب في تخزين المياه خلف سدّ النهضة في أقل من 3 سنوات وليس 6 سنوات كما طالبت الدول المحايدة، وأن قِصْر هذه المدة لا يعني فقط الجفاف لمصر لفترة مؤقتة، بل أنه -حتى بعيدًا عن المخاطر الجيوسياسية- سيناريو دائمي كارثي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، يقول (صيام): "إذا ما قرّرت إثيوبيا أن تملأ بحيرة السدّ في ثلاث سنوات فقط فسترتفع الكمية المحجوزة سنوياً خلف سدّ النهضة إلى 24.7 مليار م^3 نصيب فاقد مصر منها 18.5 مليار م^3 سنوياً ترتفع إلى 25.5 مليار م^3 سنوياً في حال الفيضان الضعيف.

وبالرغم من أن انخفاض معدل تصريف المياه غير مؤثر في الوقت الحالي، إلا أن هناك عدد لا حصر له من المشاكل البيئية الناتجة عن مرحلة مليء السد وحدها مثل ارتفاع ملوحة المياه وزيادة معدل البخر، وزيادة معدل الترسيب الناتج عن بطئ جريان النهر وتوقف الزراعة والاعتماد على الاستيراد لعدد من الأعوام التي يستغرقها مليء بحيرة السد، ما يعني فقدان جزء كبير من احتياطي العملة الأجنبية، إضافة إلى أضرار غير قابل للجبر مثل: القضاء على الثروة السمكية النهرية وتبوير أكثر من 4.6 ملايين فدان. (أي فقدان دائم لأكثر من 51% من الرقعة الزراعية الحالية في مصر)"[56]. ويفاقم من كارثة وقوع مصر بالفعل تحت المعدل الدولي للندرة المائية بل أن التقديرات تشير إلى استمرار زيادة العجز المائي في مصر وصولا إلى ٣٢ مليار متر مكعب عام ٢٠٢٥[57] (أي ثلث وارد النيل).

الموقف المصري احتواء بطعم الاستسلام

كشف (د. هشام صبري) -أستاذ القانون في جامعة مريلاند وضابط أمن الدولة المصري السابق- في شهادته على قناته على اليوتيوب عن فترة عمله ضمن بعثة الأمم المتحدة في دارفور عام ٢٠٠٧ أن مصدرًا في وزارة الري السودانية نقل

[54] جريدة الأهرام المصرية (عدد: ٢٠٠٢/٠٢/١٦): ص. ١٤.

[55] أستاذ الاقتصاد الزراعي - كلية الزراعة - جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية.

[56] جمال صيام بغدادي. "الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المُحتمَلة لسدّ النهضة الإثيوبي وانعكاساتها على مستقبل الزراعة المصرية." مجلة كلية الزراعة جامعة القاهرة (٢٠١٦): ٠٥ - ١٨.

[57] انتصار معاني علي. "الأبعاد الجيوبوليتيكية لبناء سد النهضة على دولتي المصب (مصر والسودان)." مجلة كلية التربية للبنات 28 (1) (2017): 290-291.

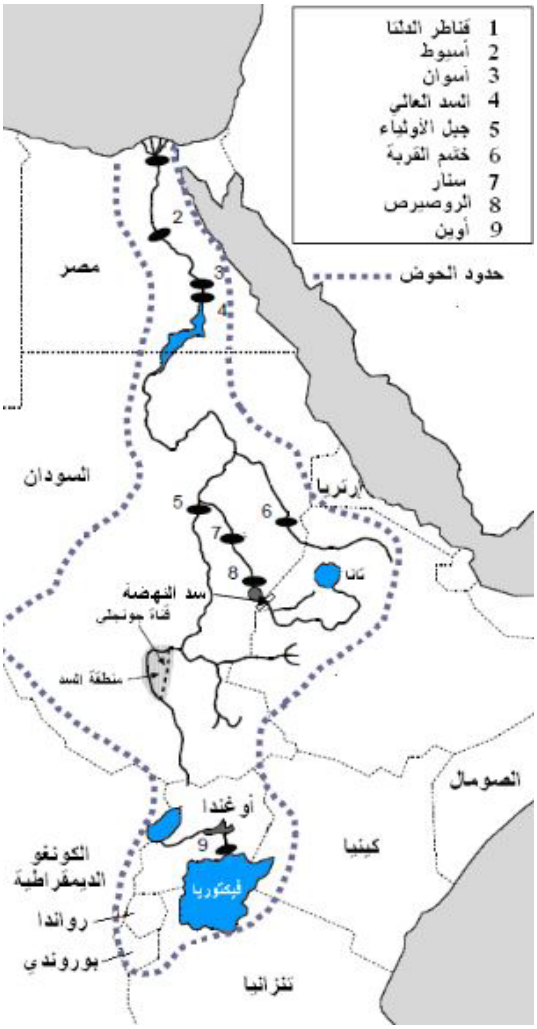

شكل 6 - حدود حوض نهر النيل والدول المشاركة والنقاط الأهم.

له عزم اثيوبيا الشروع في بناء سد النهضة[58]. وأن النظام المصري كان على علم بتفاصيل التحركات "الإسرائيلية" ولم يحرك ساكنًا. ولعل التفسير المنطقي الوحيد هو ما تم في زيارة (محمد أنور السادات) للأراضي الفلسطينية المحتلة وتوقيع معاهدة "كامب ديفيد" حيث تم الاتفاق في أحد ملاحقها السريّة على نقل مياه النيل إلى صحراء النقب ضمن اتفاقية تقبل مصر بمقتضاها تسليم نصيب معتبر (١٪) من مياه النيل لـ "إسرائيل" مقابل ألا تتلاعب "إسرائيل" بجريان المياه في دول حوض النيل لغير صالح مصر[59]. يتم بمقتضاه جر مياه نهر النيل بحفر "ترعة السلام" تحت قناة السويس إلى سيناء ومنها إلى النقب. وهو نفس المشروع الذي اقترحه (هرتزل) على (لانسدون - Lansdowne) وزير خارجية بريطانيا، لكن كانت بريطانيا رفضت هذا الطلب، بسبب تأثيره السلبي على مشروعات الزراعة المصرية بالوادي، خاصة محصول القطن الحيوي للصناعة الإنجليزية -آنذاك-. عليه فإنه حتى وقتنا الحالي يستمر في العمل نموذج (يؤر) الذي تقدم به (شاؤول أولوزوروف - Saul Arlosoroff) -النائب السابق لمدير هيئة المياه "الإسرائيلية"- إلى (السادات) لمد نهر النيل "شرقًا".

المفارقة أنه على الرغم من الاضطرابات الأمنية في مصر في ظل ثورة ٢٠١١ وما تلتها من أحداث ظل مشروع سحارات سيرابيوم وأنابيب نقل مياه النيل تحت قناة السويس يعمل بكل كفاءة واستمر تمويله بلا توقف، ولعل التفسير المنطقي الوحيد يظهر في إحدى رسائل البريد الإلكتروني لوزيرة الخارجية الأميركية السابقة (هيلاري كلينتون - Hillary Clinton) الذي يقدم فيها أحد محللي إدارة تتابع "الشرق الأوسط" تقريرًا يقول: "إن [الرئيس المصري الأسبق محمد] مرسي اختار [الفريق -آنذاك- عبد الفتاح] السيسي [وزيرًا للدفاع] لأنه مقبول في إسرائيل بخلاف طنطاوي الذي كانت علاقته بإسرائيل مضطربة ... أن السيسي حافظ على قناة اتصال وتنسيق بخصوص العمليات في سيناء إبان أحداث 2011 بعد أن رفض طنطاوي دفع الشرطة المصرية لحفظ الأمن في سيناء بحجة أنها انهارت."[60].

بل إن النظام المصري يقوم الآن بتحصين جميع الأراضي التي يقع فيها محطات الرفع ومهمات نقل المياه في الترع المتجهة إلى "إسرائيل" من خلال تمليكها لأطراف دولية بموجب قرارات من رئيس الجمهورية، حتى يكون إيقاف العمل بها مستقبلًا مخالفًا للقانون الدولي وموجبًا لفرض العقوبات على أي نظام مصري يأتي في المستقبل، ففي

[58] هشام صبري. قناة الشرق. ٠٧ ٠١, ٢٠٢١. @elsharqtvofficial. ١٠ ٠٥, ٢٠٢٣ .
https://www.youtube.com/watch?v=-ygFaUs7YZ4

[59] فتحي علي حسين. المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧.

[60] https://foia.state.gov/search/Results.aspx?searchText=(egypt)%20AND%20()&collection=Clinton_Email

٢٠١٧/٠٨/١٧ أصدر (السيسي) قرارا جمهوريًا رقم 386 لسنة 2017، بمعاملة أمير الكويت معاملة المصريين طبقًا لأحكام القانون (143 لسنة 1981) بشأن الأراضي الصحراوية، حيث ينصّ القانون على: "أن يقتصر تمليك الأراضي الصحراوية على المصريين، ومع ذلك يجوز بقرار من رئيس الجمهورية لـ "أسباب يقدرها"، معاملة من يتمتع بجنسية الدول العربية كالمصريين"، والسماح له بتملك 134 فدانا بناحية "قصاصين الشرق" مركز "الحسينية"، و29 فدانا بزمام "المنيّر" مشتول السوق مركز "بلبيس" في محافظة الشرقية، ويعلّق (نايل الشافعي) الأستاذ في جامعة MIT عن ذلك بقوله: "بمحض الصدفة، أن الأرض التي تملكها أمير الكويت، هي (رأس) ترعة السلام، حيث تأخذ مياهها من بحر البقر، ثم تتجه شرقا لعبور قناة السويس بسحارات السلام، ثم تتجه شرقا نحو إسرائيل".

الاستنتاج

بعد معاهدة كامب ديفد وإعلان الرئيس المصري (محمد أنور السادات) أن "٩٩٪ من أوراق اللعبة بيد أمريكا." تخلت مصر طواعية عن دعم حركات التحرر في إفريقيا، الأمر الذي جعل القيادة السياسية في مصر -وبالرغم من المعطيات لديها عن الخطط "الإسرائيلية" في حوض النيل- تصرّ على الاعتماد على مسارات استراتيجية مبنيّة على "صداقة" الإدارة الأميركية. لدرجة أن (يوسف حامد ناصر) رئيس "حركة تحرير شعب بني شنقول" -الإقليم الذي يقام فيه سد النهضة- والذي يستجدي الدعم العسكري من أشقاءه العرب في السودان ومصر ظلت نداءاته لا يجيبها إلا الصدى، عدا مرة تعاطف معه (حسن الترابي[61]) وطلب من الجيش السوداني تدريب الحركة، ولكن قيادات الجيش السوداني رفضت، ويقول (ناصر): "إن أقصى دعم مادي وصل منه هو مئة كرتونة "بلح" كانت قادمة إليهم من السعودية وُزعت على مقاتلي الحركة".

إن نجاح مشروع نقل مياه النيل إلى صحراء النقب يعني نجاح الكيان "الإسرائيلي" في إرساء أمر واقع وجديد وخطير في المنطقة، لأنه سيأخذ نوعا من المشروعية والبعد القانوني في ظل التسوية "الإسرائيلية" – المصرية. وسيسهم في حل عدد من المشاكل الرئيسية مثل: أزمة المياه، وعدم القدرة على التوسع الزراعي، ومحدودية القدرة على استيعاب المهاجرين، وهذه عوامل من شأنها وببساطة أن تدعم القوة "الإسرائيلية" بوجه عام، وتدعم بالتالي توجهاتها العدوانية والتوسعية. وعليه، سيعمد الكيان "الإسرائيلي" إلى ممارسة ضغوط غير مسبوقة لتحقيق أهدافه، من خلال الإسهام في مشاريع سدود على نهر النيل الأزرق، وعندئذ لابد أن يؤدي الأمر إلى توتر في المنطقة بشكل يحقق توقع الدكتور بطرس غالي- وزير الدولة المصري السابق للشئون الخارجية – عندما قال: "إن الحرب المقبلة في الشرق الأوسط بسبب مياه النيل وليس بسبب الاختلافات السياسية"[62].

الوضع الحالي هو حرب جيواستراتيجية متكاملة الأركان .. ومالم تتوقف الدولة المصرية عن محاولة استجداء "التعقُّل" الغربي أو تسويق حلول لتهدئة الرأي العام من نوعية: تحلية مياه الصرف الصحي أو تبطين التُرع ..إلخ، فإنها لن تجد نفسها إلا في أزمة وجودية لم يكن يمكن الخروج منها إلا بحلول استراتيجية فات أوانها.

[61] الأب الروحي للحركة الإسلامية في السودان.
[62] بحوث دبلوماسية. ورقة بحثية. الرياض: وزارة الخارجية – المملكة العربية السعودية، 1992.

المصادر والمراجع

Schmida, Leslie C. "Israel`s Drive For Water." *The Link* November 1984: 1 - 16.

Arlosoroff, Saul, Shuval, H. and Dweik, H. "Water Demand Management — A Strategy to Deal with Water Scarcity: Israel as a Case Study." *Water Resources in the Middle East.* 2007.

مايكل كلير. *الحرب على الموارد .. الجغرافيا الجديد للنزاعات العالمية*. المحرر عدنان حسن. بيروت: دار الكتاب العربي، 2002.

ألوف بن. "العلاقات مع تركيا هامة ولكنها لن تكون بديلا للحوار مع العرب." *هآرتس* (1999): 9.

Barzohor, Michael, Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz. "Ben Gurion and the policy of the periphery ." *Israel in the Middle East* 1984: pp. 164-171.

Y.S., Awulachew ،S.B. ،McCartney ،M. ،Ibrahim ،Y. ،and Shiferaw،. "Evaluation of water availability and allocation in the Blue Nile Basin." *CGIAR Challenge Program on Water and Food*. Ethiopia: 2nd International Forum on Water and Food, 2008. 6-10.

مصطفى الفقي. لإسرائيل تأثير بملف سد النهضة لأنها تحلم أن تكون دولة مصب لنهر النيل. مع شريف عامر. @YahdothFiMasr .M.B.C. Masr ،Cairo. 14 07, 2021.

وفا. *المياه في الصراع العربي – الاسرائيلى*. تقرير دوري. رام الله: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، ٢٠٠٦.

انتصار معاني علي. "الأبعاد الجيوبوليتيكية لبناء سد النهضة على دولتي المصب (مصر والسودان)." *مجلة كلية التربية للبنات* 28 (1) (2017): 290-291.

هشام صبري. *قناة الشرق*. ٠٧ ,٠١ ,٢٠٢١. @elsharqtvofficial. ١٠ ,٠٥ ,٢٠٢٣. <https://www.youtube.com/watch?v=-ygFaUs7YZ4>.

Medzini, M. *Israel's foreign relations 1981-1982*. selected Documents - volume seven. Jerusalem: Ministry for foreign Affairs, 1988.

عارف عبدالقادر عبده سعيد. *التنافس الدولي في منطقة القرن الإفريقي منذ نهاية الحرب الباردة*. رسالة دكتوراه. القاهرة: (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية, جامعة القاهرة)، 2007.

ديفيد بن جوريون. *إسرائيل تاريخ شخصي*. المجلد 3. تل أبيب: د.م. :مركز البحوث وامعلومات،د.ت، ٢٠٠٣.

محمد سالمان طايع. "محدودية الموارد المائية والصراع الدولي: دراسة حالة لحوض نهر النيل." *مجلة النهضة* ٠٤, ٢٠٠٦: 59-89.

DEPKA. 07 07 2019. ديبكا. 10 05 2023. <https://www.debka.co.il/%d7%9e%d7%aa%d7%99%d7%97%d7%95%d7%aa-%d7%91%d7%99%d7%9f-%d7%99%d7%a9%d7%a8%d7%90%d7%9c-

%d7%95%d7%9e%d7%a6%d7%a8%d7%99%d7%9d-%d7%9c%d7%90%d7%97%d7%a8-%d7%a9%d7%99%d7%a9%d7%a8%d7%90%d7%9c-%d7%a1%d7%99/>.

فتحي علي حسين. *المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط*. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧.

Decalo, Samuel. *Israel and Africa, Forty Years, 1956-1996*. Gainesville: Florida Academic Press, 1998.

عبد الباقي عبد الكبير. "العلاقات الإثيوبية – الإسرائيلية،." *مجلة دراسات استراتيجية* نوفمبر, ١٩٩٦: ٦٧ – ٦٨.

هيثم الكيلاني. "المياه العربية والصراع الإقليمي." *دراسة مستقبلية، سلسلة كراسات استراتيجية* سبتمبر, ١٩٩٣: ١٣ & ٣٥٤.

Berhane ،D. *Quick facts on the Grand Millennium dam | Ethiopia*. ADIS APAPA, 11 04 2011. WEBSITE.

البحيرى زكى بدر. *ومصر ومشكلة سد النهضه ودول حوض النيل*. القاهرة: دار الثقافه العربيه ووزارة الثقافه، ٢٠١٣.

Farinosi, F., et al. "A spatially explicit, data driven indicator of hydro-polit." *An innovative approach to the assessment of hydro-political risk indicator of hydro-political issues.* Glob. Environ. Chang. No. 52, 2018. 286–313.

RESOURCES, ETHIOPIA - UNITED STATES COOPERATIVE PROGRAM FOR THE STUDY OF WATER. "1961 ANNUAL REPORT OF THE RECLAMATION ON THE BLUE NILE RIVER BASIN INVESTIGATIONS." 31 09 1961. *usaid.gov.* 12 05 2023. <http://pdf.usaid.gov/pdf_docs/PDABH330.pdf>.

عبدالرحمن سليمان الأحمد. "أزمة المياه في الصراع العربي الإسرائيلي." *دراسات دبلوماسية* فبراير, ١٩٩٩: ١٥٥.

أسامة عبدالرحمن الأمين. "التغلغل الإسرائيلى فى دول حوض النيل الشرقى." *مؤتمر دول حوض النيل الشرقى*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة، 2012. 192.

كريستيان توردينى. "النزاع الإقليمي وسط أفريقيا والشراكة الأميركية الإسرائيلية." *شؤون الشرق الأوسط* ٦٠ (١٩٩٧): ٢١ – ٢٢.

سمير حسني. "القرن الأفريقي: أهم القضايا المثارة." *المستقبل العربي* ٢١٨ (١٩٩٧).

غادة محمد أحمد زيان. *السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الأفريقي بعد أحداث الحداي عشر من سبتمبر ٢٠١١*. رسالة ماجستير. القاهرة: كلية الإقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، 2014.

عباس شراقي. "بين الجيولوجيا والسياسة: رؤية فنية لسد الألفية الأثيوبي." *مجلّة السياسة الدولية* ١٨٥ (٢٠١١): ١٤٧.

عز الدين شكري. "التعاون الاسرائيلى الاثيوبى والأمن القومي المصري." *مجلة السياسة الدولية* يوليو, ١٩٩٠: ١٧٥.

أشرف محمد عبد الحميد كشك. *السياسة المائية المصرية تجاه دول حوض النيل في التسعينات*. رسالة ماجيستير. القاهرة: (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة)، 2005.

صفا شاكر إبراهيم محمد. *الصراع المائي بين مصر ودول حوض النيل 1990-2010*. ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديموقراطي العربي، ٢٠١٠.

ايهاب سامح سيد رضوان، محمد رجب زكى، شريف محمد السيد، علاء شعبان احمد، احمد سعد نصر. *أزمة سد النهضة وتداعيتها على مصر (سياسياً- إقتصادياً- إجتماعياً- إحصائياً وجيولوجياً)*. ورقة بحثية. القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٨.

محمد حسنين هيكل. "مصر أين؟ ومصر إلى أين؟" مع لميس الحديدي. *الصراع العربي الإسرائيلي على سد النهضة*. Cairo .CBC Egypt. ٠٣ ٠٤, ٢٠١٥.

أنتوني لوينشتاين. *رأسمالية الكوارث؛ كيف تجني الحكومات والشركات العالمية أرباحا طائلة من ويلات الحروب ومصائب البشرية*. المحرر أحمد عبدالحميد. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٢٢.

رفعت سيد احمد. *الصراع المائي بين العرب وإسرائيل*. ١. القاهرة: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1993.

Peters, Joel. *Israel and Africa, The problematic friend ship*. London: British Academic press, 1992.

صالح زهر الدين. *مشروع إسرائيل الكبرى بين الديموغرافيا والنفط والمياه*. ورقة بحثية. بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٦.

بولوك ج و درويش ع. *حروب المياه.. الصراعات القادمة في الشرق الأوسط*. المترجمون هاشم أحمد محمد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

Waterbury, J. *The Nile Basin: National Determinants of Collective Action*. New Haven: Yale University Press, 2002.

بحوث دبلوماسية. ورقة بحثية. الرياض: وزارة الخارجية – المملكة العربية السعودية، 1992.

.STATE.GOV *Collection: Clinton_Email*. بلا تاريخ. collecti&()https://foia.state.gov/search/Results.aspx?searchText=(egypt)%20AND%20> .<on=Clinton_Email

جاسم يونس الحريري. *السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا*. عمان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2004.

خالد إسماعيل سيد أحمد. *الاستعمار الصهيوني في آسيا وإفريقيا*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

"أسرار زيارة سيلفان شالوم إلى أثيوبيا." *صحيفة الخليج الإماراتية* (٢٠٠٩).

محمد محمد عبد الحميد. *بني شنقول من عهد الإدارة المصرية وحتى الشروع في بناء سد النهضة 1821 – 2001*. القاهرة: دار الكتب والوثائق المصرية، ٢٠٠٣.

حلمي عبد الكريم الزعبي. *مخاطر التغلغل الصهيوني في إفريقيا*. الكويت: كاظمة للنشر والتوزيع: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985.

Meir, Golda. *My life*. New York: Dell,Publishing Co, 1975.

حسن العاصي. "أبعاد الاختراق الإسرائيلي للقارة السوداء." *مجلة باحث للدراسات* ٠١ ٠٢, ٢٠٠١.

جمال صيام بغدادي. "الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المُحتمَلة لسدّ النهضة الإثيوبي وانعكاساتها على مستقبل الزراعة المصرية." *مجلة كلية الزراعة جامعة القاهرة* (٢٠١٦): ٠٥ - ١٨.

جريدة الأهرام المصرية (٢٠٠٢): ١٤.

جريدة الأخبار المصرية (١٩٩٢).